دلالة المرأة الاجتماعية في الرواية الفلسطينية المعاصرة رواية "أنثى للكاتبة "ديانا الشناوي" أنموذجا

The social representation of women in contemporary Palestinian novel ontha by the writer diana alshinnawi Model

1أحمد سليمان البسيوني*

جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة (الجزائر)a.albasuoni@univ-dbkm.dz

مخبر الدراسات الأدبية والنقدية العامة والمقارنة

2أ.د عبد القادر قدار

جامعة الجيلالي بونعامة-خميس مليانة (الجزائر) a.keddar@univ-dbkm.dz

تاريخ الارسال2023/04/10 تاريخ القبول 2023/08/04 تاريخ النشر2023/12/31

ملخص:

يتناول البحث رواية (أنثى) للكاتبة ديانا الشناوي, وهي رواية تجسد دلالة المرأة في المجتمع وتصور الأدوار التي تقوم بها, حيث تبرز في الرواية صورتين للمرأة: المرأة الإيجابية الفاعلة التي لها مكانتها ودورها في المجتمع وتتحمل المسؤوليات وتدافع عن نفسها وتطالب بحقوقها, والمرأة السلبية النمطية التقليدية المقموعة التي لا دور لها ولا مكانة غير بيتها وتربية الأبناء, التي لا تستطيع أن تدافع عن نفسها ولا أن تطالب بحقوقها, ويشير البحث إلى أي مدى استطاعت الكاتبة أن تجسد دلالة المرأة في الرواية, كما تكمن أهمية البحث في الكشف عن دلالة المرأة في الرواية الفلسطينية, ويتكون البحث من الملخص ومقدمة ونبذة عن حياة الكاتبة والمبحث الأول الذي يتناول صورة المرأة الإيجابية الفاعلة والمبحث الثاني الذي يتناول صورة المرأة السلبية النمطية المقموعة ثم الخاتمة والنتائج التي توصل إليها البحث, وفي نهايته الهوامش وقائمة المصادر والمراجع.

الكلمات المفتاحية: (الرواية, الدلالة, المرأة, الإيجابية , النمطية)

Abstract:

The research deals with the novel (female) by Diana El-Shennawy, a novel that embodies the significance of women in society and depicts the roles they play, where two images of women emerge in the novel: the active positive woman who has her place and role in society and bears responsibilities and defends herself and demands her rights, and the negative stereotypical woman who has no role or status other than her home and raising children, Who cannot defend herself or demand her rights, The research indicates to what extent the writer was able to embody the significance of women in the novel, and the importance of the research lies in revealing the significance of women in the Palestinian novel, and the research consists of the summary, introduction and summary of the life of the writer and the first section, which deals with the image of positive active women and the second section, which deals with the image of negative stereotypical women repressed, then

* - المؤلف المرسل

the conclusion and the results of the research, At the end of it are the margins and the list of sources and references.

Keywords: the novel Ontha ،indication، woman, Positivity ،traditional

1. مقدمة:

نالت المرأة أهمية كبيرة في العمل الروائي باعتبارها معلما أساسيا لا يمكن الكتابة بمعزل عنه, ما مرت به المرأة في المجتمع الذكوري وما نتج عنه من إجحاف في حصولها على حقوقها, وما تعرضت له من أذى نفسي وجسدي جعل الكتاب يتجهون إلى التعبير عن هذه الصور في كتاباتهم في محاولة منهم لرفع الظلم والأذى عن النساء, "قسوة المجتمع الذكوري على المرأة انعكست على الأدب, فأخذت مجموعة من الأدباء والأديبات بالكتابة عن هموم المرأة وما تتعرض له من أذي جسدي ونفسي وهنا نستذكر رواية المطلقة للروائي جميل السحلوت و رواية توليب للروائية خلود نزال وغيرها"([1]), كما حظيت المرأة اهتمام الكتاب في المجتمع الفلسطيني, فقد عملوا على إبراز صورة المرأة ومواقفها ومواقعها من المجتمع الفلسطيني, وما قدمته من أدوار مهمة في بناء المجتمع وتماسكه والحفاظ على الأسرة وتربيتها ومساعدة زوجها, لم يعد الرجل المحور الوجودي, وإنما نشطت المرأة لتشارك في تحقيق الوجود بعد أن أصبحت عاملة لها دورها الاقتصادي الذي أتاح لها حرية الحركة والتفاعل الاجتماعي, كما أشار الكتاب إلى الواقع الجسيم والمعاناة التي مرت بها المرأة الفلسطينية, وذلك في محاولة للكشف عن العنف والاضطهاد والقهر والقلق الذي يمارس في حق المرأة, عمل الكتاب على إبراز صورة المرأة الإيجابية والسلبية في كتاباتهم حيث "ظلت صورة المرأة في الرواية العربية تتراوح بيت نموذجين سادا ثقافتنا العربية مدة ليست قصيرة, نموذج مثالي حسن يصور المرأة عاشقة مناضلة وأما رؤوما, وقد تؤول الصورة حينا لتصبح المرأة رمزا يحيل للوطن أو للفضاء الخصب, أما النموذج الثاني السلبي والصادر من رحم نظرة سلبية متوارثة فإنه يبرز نموذج المرأة الجسد التي تظهر في إطار من الإغراء والانحلال والسلبية, أو تظهر في مدارات من التبعية والانقياد لصالح السلطة الذكورية المتغطرسة"([2]).

تنظر الرواية العربية إلى المرأة بوصفها فاعلة متعلمة عاملة شريكة الرجل في الحياة بعدما كان المجتمع العربي يمقت المرأة ويهضم حقوقها دون أدنى رأفة "إن المرأة العربية في الغالب هي المرأة المقهورة السلبية الخاضعة للهيمنة الذكورية, فهي بالمعتاد تابعة ومتلقية ومقموعة, القمع يتراوح بين العادات والتقاليد, ظروف المجتمع وأنماطه في التعامل, ولم تخرج المرأةعن هذه الصورة إلا في حالات محددة ولعل الرواية العربية الحديثة لعبت دورا في إظهار المرأة العربية في صورة مغايرة, فقد أصبحت المرأة شريكة الرجل في تحمل المسؤولية, امرأة إنسانة وليس سقط متاع لم تعد مجرد جسد ينظر إليها بشهوةورغبة, أصبحت المناضلة والأم والشريكة"[3]

فيما ولجت المرأة بوصفها كاتبة إلى الكتابة الأدبية بتعبر عن ذاتها وتطالب بحقوقها المسلوبة بسبب عادات المجتمع والسلطة الذكورية, وهي لا تعبر عن نفسها في كتابتها فقط وإنما تعبير جماعي "من هنا تصبح كتابة المرأة –اليوم- ليست مجرد عمل فردي من حيث التأليف أو من حيث النوع إنها بالضرورة صوت جماعي"([4]), وجد الكتاب في الرواية مساحة للتعبير عن قضايا المرأة المختلفة والدفاع عنها والمطالبة في حقوقها "فالرواية قد كانت وسيلة لطرح قضايا ومشكلات المرأة, لقد كان هذا العمل الأدبي المناسب لرسم صورة المرأة"([5]).

حظيت المرأة باهتمام الكتاب قديما وحديثا, وأشاروا إلى دورها في المجتمع ومكانتها بوصفها أما وأختا وزوجة وبنتا, "موضوع المرأة من الموضوعات الأساسية التي اهتم بها الكثير من الأدباء سواء في الفكر القديم أم الحديث, وهذا الأمر لا غرابة فيه, حيث تحتل دورا هاما في المجتمع وبالرغم من ذلك فقد تعرضت عبر التاريخ للاضطهاد والإجحاف في الكثر من حقوقها فلم يعترف بدورها الكبير والفعال في بناء المجتمع والأسرة, فلها مكانة عالية بوصفها أما و وزوجة وأختا, تشارك الرجل في متاعبه في السراء والضراء"([6]).

الكاتبة:

ديانا الشناوي كاتبة فلسطينية تقيم في غزة, لها العديد من المؤلفات الأدبية والاسهامات الثقافية, التي لها حضروها ودورها المميز في المجتمع الفلسطيني, حظيت الكاتبة بحضور واسع في المشهد الثقافي, تناولت الكاتبة في أعمالها الأدبية العديد من القضايا الاجتماعية والوطنية والثقافية, اهتمت الكاتبة بالمرأة وقضاياها, كما عملت على إعطاء المرأة دورها في المجتمع من خلال أعمالها الأدبية, مجسدة حقوق المرأة في المجتمع, ومن هنا اختارت الكاتبة بطلة روايتها شخصية نسوية, كما أسندت الأدوار الرئيسة في الرواية إلى نماذج نسوية, وظفتها للتعبير عن صور متعددة للمرأة.

جسدت الكاتبة ديانا الشناوي في روايتها صورتي المرأة النمطية التي تعاني أوضاعا اجتماعية واقتصادية ونفسية, والمرأة التي تقف متحدية لهذه الظروف, مراوحة بين صورة المرأة القوية الفاعلة الثائرة على عادات القرية والسلطة الذكورية, والمرأة التقليدية النمطية التي تخضع للواقع المفروض عليها من الرجل وقبول قراراته, صورت الكاتبة صورة المرأة المتحررة من قيود الرجل وهنا أشبه بدعوة ضمنية من الكاتبة تعمل على تغيير نظرة المجتمع للمرأة المتمثلة في اعتبارها وسيلة للمتعة, وتحويلها من امرأة تقليدية نمطية إلى امرأة مشاركة في بناء المجتمع, في حين نجد أن للمرأة مكانة بارزة واشتلمت مساحة واسعة في الرواية الفلسطينية, تبرز فيها دور المرأة ومشاركتها في مجالات الحياة, أرادت الكاتبة تسليط الضوء على الواقع المظلم للمرأة, في حين يصل العنف ضد المرأة في مجتمعاتنا إلى الضرب والإيذاء الجسدي والنفسي ويصل إلى القتل وهذا ملاحظ وإن تعددت الأسباب في ذلك فالنتيجة واحدة.

عملت الكاتبة على تجسيد عدة صور للمرأة مستوحاة من الواقع الفلسطيني, حاكت فيها قضايا هي ماثلة في المجتمع, حيث تشكل كل صورة واقعا وفكرا معينا, لها قناعاتها وطموحاتها وأهدافها التي تسعى إلى

تحقيقها, برزت هذه الصور من خلال تتبع الأحداث والمحاولات التي بذلتها بطلة الرواية (منى) في سبيل تحررها والتخلص من قيود القرية والسلطة الذكورية ومن خلال شخصيات الرواية الأخرى, محاولا الكشف عن كاتبة فلسطينية مفعمة بالوعي والاهتمام بقضايا المرأة كجزء من المجتمع.

يهدف البحث إلى تصوير دور المرأة عند الروائية ديانا الشناوي في (رواية أنثى), والخوض في تفاصيل الشخصيات النسائية ودورها في تقديم الأحداث, وعلاقتها بالشخصيات الأخرى, وتصوير صورة المرأة التي تعبر عنها أفعالها وكلامها وتعاملها مع المواقف ومدى قدرتها على تحمل واقع الحياة, وكان اختيارنا لرواية (أنثى) للوقوف على صورة المرأة الفلسطينية, وتحديد مكانتها ودورها وهي تقف لجانب الرجل تقاسمه معاناة الحياة وصعوبتها, ورحلة النضال وخطورتها, وتحمل الأعباء بكثرتها.

ويبقى السؤال هل استطاع الكاتبة ديانا الشناوي تصوير واقع المرأة الفلسطينة بمختلف أدوراها في المجتمع الذي تعيش فيه؟ وأن تجسد صورة المرأة العاملة القوية الإيجابية والمرأة السلبية الانهزامية التي تستسلم للواقع, وهل قدمت الكاتبة شيئا جديدا من خلال روايتها؟

2. صورة المرأة في الرواية:

1.2 . الصورة الإيجابية:

تعتبر المرأة العربية ومن بينهن الفلسطينية فاعلة في المجتمع, شاركت الرجل عمليات النضال والكفاح, والعمل والمساعدة في تربية الأبناء, "إن المرأة العربية كانت شريكة فاعلة في إنضاج المدونة السردية العربية, عبر إضافتها قضيتها التحررية إلى سلسلة القضايا, التي انشغلت بها الرواية العربية"([7]).

قدمت الكاتبة في الرواية صورة إيجابية للمرأة الفاعلة القوية العاملة, التي تمتلك العزيمة والإصرار, وتثبت وتنجح في مواجهة الظروف الاجتماعية والاقتصادية القاسية, وتحمل أعباء الحياة وتربية الأبناء في ظل غياب زوجها الذي سافر بسبب الأحداث السياسية الدامية, تقول الساردة:

"غربة زوجها القسرية بعد الانقسام وهروبه من غزة بسبب انتمائه لحزب معاد للحزب الحاكم ... وكيف عاشت أياما من الوحدة والرعب وهي تتلقى تهديدات بسبب زوجها أتذكر دموعها في البداية حين كانت تذهب للسوق أو للمدرسة لتحل مشكلة لأبنائها كانت تبكي هشة ضعيفة.. تحولت للنقيض بعد أن طحنتها الحياة فأصبحت أكثر شدة وقوة وصلابة"([8]).

جسدت الكاتبة صورة المرأة الإيجابية والفاعلة في الرواية, صورت المرأة التي تعمل وتصرف على نفسها وأسرتها متحملة أعباء الحياة ومسؤولية الأسرة, نادية امرأة ترفض الاستسلام للواقع المادي الصعب الذي تعيشه, ترفض الجلوس في البيت لتنتظر عطف الناس, وتخرج لتعمل مصورة في الأفراح كي توفر المتطلبات الأساسية الحياتية تقول الساردة:

"اهدئي أين أنت الآن... في صالة الأفراح سأقوم بتصوير حفل زفاف"([9]).

تؤكد الكاتبة على أهمية نضال المرأة بالعمل, ويتضح هذا من خلال شخصية نادية فهي امرأة فاعلة في عملها, وهذا يؤكد لنا مقدرة المرأة على إدارة بيتها وتربية أبنائها والعمل, أي أنها قادرة على ممارسة الأنشطة داخل البيت وخارجه, هذا النموذج يحتاج إليه المجتمع ونجد من يدافع عنه.

نادية امرأة يهرب زوجها بسبب الأحداث, تاركا خلفه مسؤوليات وأعباء الحياة على عاتقها وحدها, حتى يعود سرا إلى بيته وتحمل زوجته منه وتقع في مأزق عدم معرفة المجتمع بعودة زوجها, ماذا ستقول للمجتمع الذي لا يعلم بعودته تقول الساردة:

"تنهمر الدموع من عينيها دون توقف وتنفجر بالكلام المخنوق ما العمل تعبت من الحياة لا تنتهي مشكلة إلا وأقع بأخرى.. أريد قليلا من الفرح تعبت من أثقال المسؤولية وحدي"([10]).

صورت الكاتبة المرأة الإيجابية المحاربة التي تدافع عن حقها واستقلاليتها, حينما عاد زوج نادية إلى بيته بعد وساطات مع الحزب الحاكم وجد نفسه مهمشا لا دور له, فيعمل على فرض سيطرته بالقوة على زوجته لكنه لا ينجح تقول الساردة:

"أصبحت نادية تتحكم بكل ما به شعر بأنه مهمش حاول فرض سيطرته واستعرض عضلات ذكوريته لكنه لم يستطع تغيير الحال الجديد لقد نحتت الأيام نادية أنثى قوية تكره ضعفها القديم لم تعد تلك المدللة بل أصبحت إنسانا حقيقيا يشعر بوجوده ويحارب من أجله.. منع زوجها من عمله بسبب انتمائه المعارض للحزب الحاكم فقد عمله أصبح عاطلا يراقب ويمنع زوجته نادية من العمل كمصورة أفراح لكن نادية تحارب بشراسة لا تريد أن تفقد استقلاليتها"([11]).

يريد الرجل أن تبقى المرأة تحت سيطرته مهما تعلمت وأنجبت وحققت لأنه لا يفهم معاناتها ورغبتها في الاستمتاع في الحياة مثله دون قيود مظلمة لدورها, قد نادت الكاتبة بفكرتها التي تسعى إلى نشرها وهي الثورة والتمرد والتحرر من قبضة المجتمع المتمثل بالعادات والتقاليد والسلطة الذكورية, فنجد نموذج سميرة القوية الواعية الحالمة تقول رأيها وتعترض بما لديها من قناعات أمام أبيها, تقرأ سرا وتكتب القصص وتحلم أن تصبح كاتبة, ثم تقع في حب حسان حتى يعلم والدها فيضربها ضربا مبرحا, ويفرض عليها تزويجها لابن عمها, تهرب من البيت ثم يمسكون بها ويقتلونها حرقا في برميل تقول الساردة: "سميرة الأخت الثانية... حضورها رائع تخبرك في كل لحظة أنها موجودة أحببت قوتها أمام أبي اعتراضها أمام أبي أمامه وخلفه... كانت أكثرنا تلقيا للصدمات كان أبي يضربها باستمرار لأنها مختلفة تعترض بصوت مسموع وتتكلم بشجاعة"([12]).

تستدل الكاتبة أشرعتها للإبحار في في توصيل فكرتها, منطلقة من شخصية سميرة والتي تعبر الكاتبة من خلال تفكيرها العميق بأنها لن تقبل ما يملى عليها, وستدافع وتواجه كل من يفرض عليها رأيه حتى يعلم والدها بقصة حبها لحسان, فيجبرها على الزواج من ابن عمها فترفض سميرة قطعيا مهما فعل والدها لن تقبل تقول الساردة:

"ستتزوجين ابن عمك يا سميرة وكل من يأتي لخطبتك سيعلم بأنك مخطوبة.. أنت عار على عائلتي هل ستحكمني فتاة في آخر عمري؟ تبكي سميرة وتخبرني يائسة حسان حاول خطبتي وأبي رفض لن يزوجني منه مهما فعلت لن أنزوج ابن عمي مهما فعلوا لن أتزوجه إنه شخص كريه"([13]).

لا يحق للفتاة في عادات القرية أن تختار شريك حياتها الذي ستكمل معه بقية حياتها, هذا يتنافى مع عادات القرية وتقاليدها التي ترى أن المرأة يقتصر دورها على خدمة زوجها, وأن تكون أما تربي أبناءها دون أي دور آخر, نجد أن الكاتبة ركزت على إبراز صورة المرأة القوية الفاعلة, التي تهدف من خلالها إلى توجيه رسالة واضحة للفتيات, مغزاها ألا تستسلم لما يفرض عليهن والمطالبة بحريتها في تقرير مصيرها واختيار شريك حياتها.

تعجب منى بأختها سميرة وبقوتها وصلابتها وجرأتها في مواجهة والدها والتصميم على رأيها والحفاظ على حبها تقول الساردة:

"تلك الفتاة الجميلة القوية عكس أخت هدى وعكس قريباتي الأخريات اللاتي ارتضين بكل ما تهبهن إياه الحياة... ورغم أن سميرة تمتلك جمالهن لكنها أكثر جرأة وصلابة أريد أن أكون مثلها"([14]).

تشير الكاتبة إلى صورة المرأة القوية, وتدعو من خلال بطلة الرواية أن تصبح سميرة قدوة لكل فتيات القرية في السير على منوالها, وهنا استباق إلى الحياة المستقبلية التي ستعيشها منى وما ستكون عليه لاحقا هو بسبب أختها سميرة التي زرعت في داخلها القوة والجرأة والثورة على سلطة العادات والتقاليد فيالقرية وعل السلطة الذكورية.

تهرب سميرة بعدما أراد والدها أن يفرض عليها زواجها من ابن عمها, وهنا تركز الكاتبة على مدى الجرأة والقوة التي تمتلكها سميرة في مواجهة كل أعراف وعادات القرية والسلطة الذكورية في رفض ما يفرض عليها بهروبها من البيت, ثم يجدها والدها ويسلمها لأبناء عمها ليقتلوها حرقا في برميل تقول الساردة:

"أحدهما سكب عليك الكاز والآخر أشعلك.. كنت تنتفضين صامتة ثم صرخة وحيدة شقت صدر الفضاء فتنهد الليل وصمت واحترقت أمامي التهمت النار جسدك وشعرك وأصبحت النار أكثر اشتعالا أظنه الضوء الذي تسرب منك"([15]).

احترقت سميرة واشتعلت لتضيء الطريق لباقي الفتيات في الرفض والثورة على عادات القرية والسلطة الذكورية, وفي هذا دعوة من الكاتبة أن تكون الفتاة هي من تقرر مصيرها ومستقبلها, وأن تقبل شريك حياتها وتختاره بنفسها, وتدافع من أجل ذلك انتصارا لما حدث مع سميرة وتضحيتها لأجل حبها وألا تذهب تضحيتها سدى.

شكلت الأحداث التي حصلت مع سميرة وما فعله والدها إرادة وعزيمة لدى بطلة الرواية منى كي تعيش حياتها, وتحلم وتداقع عن أحلامها وحقوقها.

جسدت الكاتبة صورة المرأة العاملة الإيجابية بشكل واضح في إشارة إلى تشكيل الكاتبة حالة من الوعي تجاه المرأة ومكانتها ودورها في المجتمع, تقول الساردة: "انتزعت كل ما أريده من الحياة"[16]

بطلة الرواية منى تحقق كل ما تطمح إليه بعد جد وعناء, فقد انتزعت كل ما تريد انتزاعا أي بعد تعب وعناء وجهد استطاعت أن تحقق طموحها من الحياة, وتعيش كما رسمت لنفسها مستمدة هذه القوة من النيران التي اشتعلت في أختها سميرة, ومن شعلة الضوء التي خرجت من أختها التي قتلت حرقا.

أشارت الكاتبة إلى الدور الذي تقوم به الفتاة في الأسرة, والذي قد يعادل أو يفوق دور الابن, فقامت منى بدور الابن في البيت تقول الساردة:

"حاولت قدر استطاعتي أن أحقق له بعض أمانيه فقد كنت أنا الولد الحقيقي في حياته والرجل الذي اعتمد عليه في كبره والظهر الساند لعائلته بعد مماته إلا أنه لم ينس للحظة أنني أكبر مصائبه"([17]).

ميز والد منى الولد على البنت ولقد رأى أن البنت هي مؤشر بؤس وإذلال حيث قام الابن بسرقة والده وهرب ليستقر في بلاد أخرى تاركا والده طريح الفراش مريض حتى مماته فيعود الولد ليبيع المزرعة والبيت في حين كانت البنت تحاول المحافظة على مزرعة أبيها والاعتزاز بهذا الإرث عن والدها.

صورت الكاتبة المرأة القوية الحالمة الرافضة لحياة البؤس والخضوع في القرية وتأبى الجلوس وانتظار الموت بل تطمح للرحيل إلى حيث تجد مكانتها وتستطيع ممارسة دورها في الحياة حيث المدينة التي تسمح للمرأة بالعلم والعمل تقول الساردة: "هل سأذبل وأموت هنا؟ لن أموت سأخرج من القفص وأحلق في غزة بعيدا عن هذا البؤس سمعت أن النساء هناك أكثر تحررا وأنهم يسمحون لهن بالعمل ولبس ما يشأن من الملابس... لي أحلام كبيرة أملك طاقة عظيمة ستنفجر وتلهمني إلى تحقيق كل أحلامي"([18]).

تسعى المرأة إلى التحرر من عادات القرية والعيش بسعادة في المجتمع, تحاول بطلة الرواية الانتقال إلى حيث تجد المرأة احتراما وتحصل فيه على حقوقها في التعليم والعمل دون سلطة أو سطوة ذكورية تتحكم بها, حيث تمتلك أحلام كبيرة تسعى لتحقيقها.

تركت سميرة بعد قتلها أثرا واضحا في تكوين الوعي والفكر لدى أختها منى ونجد ذلك ماثلا في الرواية حينما في حين أن أختها هدى يتزوج عليها زوجها لأنها لم تنجب فلم تستطع غير البكاء والصمت مستسلمة لا موقف لها, يظهر تدرج الوعي والتحرر الفكري من قيود القرية والسيطرة تقول الساردة: "نظن أن الظلم يأتي حينما يختفي العدل .. لكن ما هو العدل ومن ننتظر ليمنحنا إياه إن لم نمنحه لأنفسنا؟ ما العدل نحارب ونقتل في سبيل احترامنا لذاتنا وإنسانيتنا"[19].

هنا توجه الكاتبة دعوة بل صرخة واضحة وقوية لكل فتاة ألا تقبل الظلم على نفسها ولا تخضع للواقع المفروض عليها بل تحارب لأجل حقها ومكانها لا أن تكون مثل هدى التي وافقت على زواج زوجها الذي يخفي عجزه الجنسي وقبلت أن يقال عنها عقيمة لا تنجب.

تتخذ منى من انكسار أختها هدى منطلقا لرفضها وثورتها على عادات القرية, التي تبيح للذكر كل شيء وتعتبر المرأة سلعة يتملكها الذكور تقول الساردة:

"لن أكون هدى مرة أخرى ستمنحني تلك الفتاة المنكسرة تمرداً ينمو معي وأبحر فيه حتى أكون أنا دون وسيط بيني وبين روحي"([20]).

المتأمل رواية أنثى يلاحظ أن الكاتبة بنت الكثير من الآمال والطموحات والأمنيات على بطلة الرواية منى, التي تسعى من خلالها البوح بما يجول في خاطرها من أفكار, وتطرح من خلالها وجهة نظرها من القضايا التي يعج بها المجتمع, فنراها تارة تناقش في مسألة العمل والتعليم مع إحدى شخصيات الرواية, كما تطرح من خلالها قضية الحق في الميراث, وتناقش مسألة التمييز بين الذكر والأنثى, وكما تطرقت بكل قوة إلى حرية الفتاة في اختيار شريك حياتها وحقها في تقرير مصيرها تقول الساردة:

"سأكون كاتبة.. سأذهب لمكتبة المدرسة وأستعير روايات نجيب محفوظ سأرس كثيرا أريد أن أكمل تعليمي وأصبح شيئا عظيما معلمة وكاتبة أو محامية وكاتبة وقد أصبح دكتورة وكاتبة"([21]).

عبرت الكاتبة من خلال شخصية منى عن صورة المرأة الحالمة التي تطمح وتحلم أن ذاتها وكينونتها, "المرأة اليوم تنال القدر الكافي من التعليم ...وهو ما يجعل وعيها متسعا يستدرك ما كانت تعانيه مسبقا نتيجة ظروف مبكرة جعلت الرجل مركز الكون والمرأة تمددا فرعيا يدين للأصل الرجل بالطاعة والرضوخ له, لقد كسرت المرأة الصورة النمطية المتعلقة بطريقة تقديم الشخصيات الأنثوية متسلحة بالوعي"([22]).

نجد (منى) مصرة ومصممة أن تكمل تعليمها وتجد عملا لها, ثم تجد ضالتها في الرجل الذي يحبها ويقدرها ويحترم ذاتها وتتزوجه, هنا تبدع الكاتبة في تجسيد صور المرأة الحالمة الطموحة التي ناضلت واجتهدت في سبيل تحقيق أحلامها, ولسان حالها يقول لا شيء هناك مع المستحيل فقط على الفتاة أن تجتهد وتحلم وتسعى لتحقيق حلمها الذي تؤمن وحتما ستصل إلى مرادها مؤكدة على ذلك من خلال شخصية منى.

تظهر صورة المرأة القوية التي ترفض سلطة الذكر حينما تقدم لمنى ابن عمها لخطبتها, ترفض منى وتقف في وجه أبيها الذي يفرض عليها الزواج منه تقول الساردة:

"أفتح الباب لأخرج لأواجه أبي لم أشعر بالخوف مطلقا كل ما أردته هو أن أتحدى أبي وأخبره وبصوت عال وللمرة الأولى في حياتي بأنني لن أنفذ أوامره هذه.. نظرت له متحدية دون أن يرف لي جفن, خرج صوتي قويا لن أتزوجه يا أبي اقتلني اذبحني بيديك الآن لا أهاب الموت هذا الرجل لن يكون زوجي أبدا"([23]).

ترفض منى الزواج وترى أنه من حقها أن تختار شريك حياتها, وترفض ما يمليه عليها والدها من زواج ابن عمها الذي تكرهه, ثم تقول لوالدها عن حقها في القبول والرفض ولا شيء يجبرها على القبول به تقول الساردة:

"أنا أكرهه ولا أكره الزواج ديننا الإسلامي أعطاني الحق في أن أقبل أو أرفض من أتزوجه"([24]).

استطاعت الكاتب أن تعبر عن الرفض والتمرد على السلطة الذكورية من خلال حق الفتاة في الموافقة على الزواج أو رفضه وهذا ما حث عليه ديننا الإسلامي.

تقف منى في وجه أخيها الذي عاد من الغربة ليبيع المزرعة والبيت ثم يرحل تقول الساردة:

"أقف متحدية لن أسمح له بذلك من هو لكي يقرر هذه المزرعة لك ولسميرة هل نسيت كيف ستبيعين قبرها؟"([25]).

تظهر المسؤولية لدى منى وتقف في وجه أخيها الذي هرب إلى الخارج بعدما سرق والده, وتركه في حالة صدمة أدت إلى مرضه وانتهت بوفاته, تقف منى متصدية له متحدية تمنعه من بيع المزرعة وتذكره بفعله, لكنه لا يعطي اهتماما سوى لثمن المزرعة والبيت, في حين يظهر حرص منى على الحفاظ على ما تبقى من إرث والدها, كما نجد موقف هدى الانهزامي لا زال متجذر في شخصها فهي لم ترفض ولم تحدث نفسها في ذلك, ولم تقل رأيها بل انصاعت لطلبه وحاولت أن تطلب من منى أن تقبل بما يطلبه, تركت عادات القرية وسلطة الرجل أثرا بالغا في تفكير وتكوين الوعي لدى هدى مما جعلها غير معترضة على ما يطلبه الرجل.

عبرت الكاتبة عن صورة المرأة التي تحمل الأحاسيس والمشاعر للرجل وتقيم علاقة حب, فقد وقعت منى في حب الفنان رائد عمران وينتهي هذا الحب بالزواج تقول الساردة:

"تقدم باتجاهي وأمسك يدي فوقفت مذهولة ركع على قدمه وفتح العلبة وإذ بها خاتم زواج نظر إلي وأنا في قمة ذهولي أنت وطني الذي قطعت كل المسافات للبحث عنه هل تقبلين بي زوجا"([26]).

تنتصر الكاتبة لفكرتها في التعبير عن قضايا المرأة وعن حقوقها كاملة في المجتمع, والمطالبة في حقها دائما من خلال نجاح قصة الحب بين منى ورائد وتتويج هذه العلاقة بالزواج, كما وقد وفقت الكاتبة في تجسيد صورة المرأة الفاعلة القوية الطموحة الحالمة في الرواية وهنا تكمن دعوة الكاتبة أن "النساء/منى تبدع وتجد ذاتها وتحقق رغباتها إذا ما استقلت عن سلطة النظام الأبوي وتحررت منه, وهنا تكمن أهمية الرواية في تحرر المرأة من هيمنة الأب والمجتمع"([27]).

2.2 صورة المرأة السلبية:

عرضت الكاتبة إلى صورة المرأة المقموعة النمطية التقليدية في روايتها, حيث تبقى المرأة الجانب الهامشي في نظرة المجتمع, مما جعلها تقبل الخضوع والاستسلام دون أدنى أي محاولة للرفض وعدم التقبل, "**ينثال السرد وينجلي معلنا أنها حكاية لأنثى تتشعب منها معاناة المرأة في المجتمع الذكوري بأعرافه وقيمه المتصلبة والمتسلطة ضدة المرأة فتتفرع الحكاية في عدة وجوه للمرأة المقهورة**"([28]).

ظهرت صورة المرأة التي تقبل وتخضع لما يفرض عليها دون نقاش, وكأن الانصات والصمت أمر فطري وطاعة الرجل في كل الأمور واجب مقدس, وكانت المرأة "**تعيش في أفق ضيق, ترزح تحت عبء تقاليد صارمة, تمنعها من مغادرة منزلها مهما كانت الظروف طارئة, إلا بإذن الزوج حتى ولو كانت مريضة**"([29]).

تجسدت هذه الصورة النمطية جليا في شخصية الأم زكية وابنتها هدى, توصي الأم ابنتها هدى بأن تكون مطيعة وأن تقوم بكل واجبات البيت دون كلل أو ملل, وأن لا ترفض لحماتها شيئا مهما طلبت, تقول الساردة:

"**كلما أتت إلينا تزودها أمي بوصايا الخنوع في طاعة حماتها كأمها وأن تقوم بكل واجباتها دون كلل أو ملل**"([30]).

تظهر صفة الانهزامية والاستسلام في شخصية زكية التي لا تستطيع أن تقرر أو ترفض أو تبدي رأيا أمام زوجها, يفرض زوجها على ابنتيهما هدى قبولها ضرة عليها, وأن تقبل بزواج زوجها عليها دون أي رفض أو معارضة لأنها لم تنجب بعد, تغضب زكية لكنها لا تتفوه بكلمة وتصمت بسبب نظرة زوجها تقول الساردة:

"**تحاول أمي الكلام يظهر الغضب على وجهها.. لكن أبي أسكتها بنظرة عين**"([31]).

يطلب زوجها أن تخبر ابنتهما هدى بموعد رجوعها إلى بيت زوجها, طالبا منها ألا تثير المشاكل, تهز زكية رأسها موافقة دون أن تحرك شفة تقول الساردة:

"**هزت أمي رأسها مستسلمة ودخلت تخبر هدى بموعد الرجوع**"[32]

تبلغ الصورة التقليدية السلبية للمرأة ذروتها وأقصى درجاتها عندما اكتفت زكية بالبكاء والتوسل لزوجها بأن يرحم ابنتها سميرة بعدما علم بعلاقتها وحبها لحسان تقول الساردة:

"**وأمي تقف عاجزة لم تحاول فتح الباب والدفاع عن ابنتها لم تفعل شيئا سوى البكاء والتوسل من خلف جدار أي قوة خفية يتملك هذا الرجل كيف استطاع السيطرة على الإنسان فيها؟ كيف استطاع حبسه داخل جسدها.. وقفت دون حراك ولم تسعف ابنتها**"([33]).

تحرص زكية على رضى زوجها وتنفيذ كلامه كأنها خلقت لتنفذ ما يمليه عليها دون نقاش, قد فرض على سميرة الزواج من ابن عمها, فتوافقه دونما اعتراض تقول الساردة:

"**تلحق به والدتي تحاول تهدئته تخبره أن كلمته ستنفذ ولا تطلب منه إلا هدوءً يسكنه دون أن يغضب**"([34]).

وفي موضع آخر تقول الساردة:

"**قفزت أمي من مكانها وانكبت على قدمه تقبلها وترجوه أن يؤجل زواجي حتى أستعيد عافيتي**"([35]).

تبرز الصورة السلبية في شخصية زهية التي جبلت على الخضوع والاستسلام منذ صغرها, فقد نشأت في منزل يحكمه العادات والتقاليد وسلطة الذكر, حتى تجسدت وتأصلت فيها بذور الاستسلام للذكر دون إبداء رأي أو نقاش في أي أمر.

ركزت الكاتبة على اظهار الصورة السلبية للمرأة, وحاولت من خلالها طرح أفكارها ومعالجتها لقضايا المرأة وما يقع عليها من ظلم واضطهاد من الواقع والسلطة الذكورية, ظهرت هذه الصورة في شخصية هدى التي تستسلم لكل ما يفرض عليها, لم تعترض أو ترفض لم تبالي في حقوقها كالتعليم تقول الساردة:

"**هدى الفتاة المستسلمة لكل شيء يأتيها لم أسمعها يوما تتأفف أو تعترض كانت دائمة الطاعة والرضا لكل ما تلقن به**"([36]).

وفي موضع آخر تقول الساردة: "**هدى الفتاة الطيبة المستسلمة الصامتة**"([37]).

تعالج الكاتبة قبول المرأة زواج زوجها عليها دون سبب أو عذر, تقبل هدى وتتعايش مع الواقع الذي فرض عليها الحياة بضرة لها, بسبب أنها لا تنجب, يتبين فيما أنها قبلت الزواج رغم علمها بعجز زوجها الجنسي, ثم يصل بها الخضوع إلى قبولها العودة إلى بيت زوجها خوفا من والدها, لكنها لم تمتلك الجرأة أن ترفض وخضعت لسلطة الذكر التي تمثلت في والدها وابن عمها تقول الساردة:

"**هدى المحايدة قضت أسبوع تبكي وتنوح وتغرق في الصمت لا تنطق بكلمة مستسلمة ليس لها موقف لا تسطيع أن تقول لا سمعت أبي ينادي على أمي ويخبرها أن تجهز هدى للعودة إلى بيت زوجها.. خرجت أختي مطأطأة الرأس حزينة منكسرة يسكنها الانكسار والكآبة**"([38]à).

شكلت شخصية هدى رمزا لصورة المرأة الضعيفة المضطهدة المقهورة لكل الفتيات فكم من ضحية تولد كل يوم تتعرض لمشاهد الظلم والقمع والإذلال تقول الساردة:

"**المشكلة أكبر من هدى ما يدهشني رايات الاستسلام فكم من ضحية تولد كل يوم نفس الحكاية ونفس الصمت.. هدى لم تكن عاقرا وستكشف الأيام أن زوجها نصف رجل.. ما أدهشني كيف كانت تعلم أنه عاجز وجرت إلى المقصلة لم تدافع عن نفسها وضلت صامتة تتلفع بالخوف والاستسلام**"([39]).

تبقى المرأة دائما الحلقة الأضعف في المجتمع التي تدفع الثمن أو تحمل الخطيئة دون الرجل, اضمحل هذا الخوف والخضوع والاستسلام للرجل بعد غياب السلطة الذكورية بعد وفاة الوالد أبو محمد, استطاعت هدى ترك زوجها العاجز جنسيا, والعودة إلى الحياة في بيت ومزرعة عائلتها مع والدتها تقول الساردة:

"**عادت هدى اتسكن معنا وتركت زوجها فلم يعد أحد يجبرها على البقاء معه بعد موت أبي لم يعد هناك من يتحكم في حياتنا أصبحنا بدون سلطة نملك حرية الاختيار**"([40]).

ويظهر هذا التغيير في شخصية الأم زكية التي ترفض زواج ابنتها منى من ابن عمها, كما فرض وقرر والدها قبل وفاته, وتقول أنها ستقوم بتعليم منى, تقول الساردة:

"لكن أمي كانت قوية في مواجهته وأخبرته أنني سأتعلم ولن تزوجني له خرج غاضبا... وبمجرد خروجه من باب المزرعة بصقت عليه"([41]).

أبدعت الكاتبة في تصوير صورة المرأة النمطية الضعيفة التي تخضع لعادات القرية وسلطة الذكر, دون محاولة للرفض والغضب وإبداء رأيها, وقبلت بالواقع لأنها قمعت منذ صغرها, كما أبدعت الكاتب في تصوير التغيير في صورة المرأة الضعيفة المستسلمة بمجرد زوال سلطة الذكر, في رسالة منها تعبر فيها عن قدرة المرأة في المطالبة في حقوقها ونجاحها في الوصول إليها, وفي هذا إشارة إلى أن المرأة تستطيع أن تؤدي دورها في المجتمع من تعليم وعمل واختيار للزوج, والحرية في ممارسة الحياة بما يتناسب مع قناعتها وتفكيرها دون فرض أو سيطرة.

3. خاتمة:

عبرت الرواية الفلسطينية عن هموم المرأة وما تتعرض له من اضطهاد وظلم وعدم مساواة في الحصول على حقوقها في مجتمع ذكوري يخضع للعادات والتقاليد, مشيرة إلى ظهور عدة صور مختلفة للمرأة في المجتمع الفلسطيني, منها الصورة الإيجابية الفاعلة التي تحدت الواقع وتحررت من هيمنة عادات القرية والسلطة الذكورية, والصورة النمطية التقليدية التي تستسلم لما يفرض عليها, ولا تمتلك الجرأة لتبدي رأيها تجاه ما يتعلق بها, فيما وفقت الكاتبة ديانا الشناوي في تصوير صورتي المرأة الأيجابية الفاعلة والنمطية التقليدية, وقد أبدعت من خلال تصوير المرأة في التعبير عن قضايا مجتمعية تتعلق بالمرأة حاكت فيها حقوق المرأة في مجالات الحياة المختلفة, ومن خلال هذا المقال قد توصلت غإلى النتائج التالية:

1. حظيت المرأة بمكانة بارزة في الرواية الفلسطينية.
2. وفقت الكاتبة في تجسيد المرأة الفاعلة والإيجابية في الرواية.
3. أبدعت الكاتب في تصوير المرأة النمطية التقليدية في الرواية.
4. بينت الرواية أن المرأة قادرة على التحرر من القيود التي فرضها المجتمع عليها.
5. أشارت الكاتبة إلى حق المرأة في الحصول على حريتها في العمل والتعليم وحق اختيار الزوج.
6. المرأة شريكة الحياة تتحمل الأعباء والمسؤوليات والاعتناء بالأسرة.
7. الحالة الاستسلامية لدى المرأة مصدرها العادات والسلطة الذكورية.

4- الهوامش:

[1] رائد الحواري(2021), صوت المرأة في رواية أنثى, موقع الحوار المتمدن .(ahewar.org) رائد الحواري – صوت المرأة في رواية –أنثى– ديانا الشناوي

[2] غادة خليل, صورة المرأة في الرواية النسائية في بلاد الشام,1951–2000, الجامعة الأردنية, الأردن, 2004, ص169.

[3] عدنان طهماسبي, نهاد بازكير, المرأة عند جبرا إبراهيم جبرا, البحث عن وليد مسعود– السفينة أنموذجا, جامعة طهران, ص4.

[4] عبدالله الغذامي, المرأة واللغة, المركز الثقافي العربي, ط3, بيروت, 2006, ص182.

[5] ثويبة بن طبة ومرابط أم الخير, صورة المرأة في رواية امرأة من الزمن العتيق, رسالة ماجستير, جامعة ورقلة, الجزائر, 2020, ص3.

[6] سارة عليوات وكريمة بسايح, صورة المرأة في رواية ليتني امرأة عادية, رسالة ماجستير, البويرة, الجزائر, 2017, ص14.

[7] جميلة حسين, المرأة في الرواية اللبنانية المعاصرة, دار الفارابي, ط1, بيروت, 2016, ص35.

8 ديانا الشناوي, رواية أنثى, وزارة الثقافة الفلسطينية, ط1, فلسطين, 2001, ص25.

[9] المصدر السابق نفسه, ص26

[10] رواية أنثى, ديانا الشناوي, مصدر سابق, ص54.

[11] المصدر السابق نفسه, ص125.

[12] المصدر السابق نفسه, ص58.

[13] المصدر السابق نفسه, ص69.

[14] رواية أنثى, ديانا الشناوي, مصدر سابق, ص59.

[15] المصدر السابق نفسه, ص69.

[16] المصدر السابق نفسه, ص7.

[17] المصدر السابق نفسه, ص17.

[18] المصدر السابق نفسه, ص17.

[19] المصدر السابق نفسه, ص43.

[20] رواية أنثى, ديانا الشناوي, مصدر سابق, ص44.

[21] المصدر السابق نفسه, ص87.

[22] نزار قبيلات, المرأى المتحررة والمرأة المقيدةفي الرواية العربية المعاصرة, دراسات الجامعة الأردنية, مج44, عدد4, 2017, 255.

[23] رواية أنثى, ديانا الشناوي, مصدر سابق, ص91.

[24] المصدر السابق نفسه, ص91.

[25] رواية أنثى, ديانا الشناوي, مصدر سابق, ص14.

[26] المصدر السابق نفسه, ص139.

[27] رائد الحوري, صوت المرأة في رواية أنثى, مرجع سابق.

[28] شفيق التلولي (2021), أنثى رواية التصادم مع الواقع,.(alwatanvoice.com) رواية التصادم مع الواقع بقلم شفيق التلولي | دنيا الرأي .."أنثى"

[29] فوزية فواز, من مقدمة رواية حسن العواقب, منشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي, ط1, لبنان, 1984, ص9.

[30] رواية أنثى, ديانا الشناوي, مصدر سابق, ص31.

[31] لمصدر السابق نفسه, ص36.

[32] المصدر السابق نفسه, ص37.

[33] المصدر السابق نفسه, ص66.

[34] المصدر السابق نفسه, ص69.

[35] المصدر السابق نفسه, ص31.

[36] المصدر السابق نفسه, ص29.

[37] المصدر السابق نفسه, ص31.
[38] المصدر السابق نفسه, ص42.
[39] المصدر السابق نفسه, ص43.
[40] المصدر السابق نفسه, ص97.
[41] المصدر السابق نفسه, ص97.

5. قائمة المراجع:

1. رواية أنثى, ديانا الشناوي, وزارة الثقافة الفلسطينية, فلسطين, 2001,.
2. المرأة واللغة, عبدالله الغذامي, المركز الثقافي العربي, بيروت, 2006,.
3. من مقدمة رواية حسن العواقب, فوزية فواز, منشورات المجلس الثقافي للبنان الجنوبي, 1984,.
4. عدنان طهماسبي, نهاد بازكير, المرأة عند جبرا إبراهيم جبرا, البحث عن وليد مسعود- السفينة أنموذجا, جامعة طهران.
5. المرأة في الرواية اللبنانية المعاصرة 1899-2009, جميلة حسين, دار الفارابي, بيروت, 2016,.
6. صورة المرأة في الرواية النسائية في بلاد الشام, غادة خليل, 1951-2000, رسالة ماجستير, الجامعة الأردنية, الأردن, 2004.
7. صورة المرأة في رواية ليتني امرأة عادية, سارة عليوات وكريمة بسايح, رسالة ماجستير, البويرة, الجزائر,2017.
8. صورة المرأة في رواية امرأة من الزمن العتيق, ثويبة بن طبة ومرابط أم الخير, رسالة ماجستير, جامعة ورقلة, الجزائر, 2020.
9. المرأى المتحررة والمرأة المقيدة في الرواية العربية المعاصرة, نزار قبيلات, دراسات الجامعة الأردنية, الأردن, مج44, عدد4, 2017.
10. صوت المرأة في رواية أنثى, رائد الحواري, موقع الحوار المتمدن.
11. أنثى رواية التصادم مع الواقع, شفيق التلولي, موقع سما الإخبارية.